(c) http://nidaulhind.blogspot.in

الشاعر الهندى العظيم «كاليداس»

الدكتور ب ، غى ، شاترا

أصبح الشاعر الهندى العظيم «كاليداس» موضوعا للدراسات و البحوث العلمية ؛ لأنه كان الشاعر الخالد فى العصر الذهبى بالهند . و كان «كاليداس» دار الخلود للفنون و مقرا لأعمال الشعراء و الأدباء كما كان البحر منبع الدرر و المرجان .

و يعتبره علماء العصر الحديث بمثابة «شكسبير» الهند . و لكن أرى من المناسب أن يلقب «شكسبير» «كاليداس انكاترا» لأن كاليداس أقدم من «شكسبير» بألف و مائتى عام ، لا بالف و سبعمائة عام ، كما يقول البعض فلا غروفى ذلك لأنه كان يعيش فى زمن لم يكن فى مقدوره أن يدون تاريخ حياته أو أعماله العلمية بطريقة معهودة فى العصر الحاضر . و لكن قدأصبح «كاليداس» محط الأعمال لشعراء العصر الحديث . واتخذ مكانته فى قلب كل محب للشعر .

و من الأعمال الخالدة التى تركها «كاليداس» للمكتبة العلمية المؤلفات السبعة المعروفة . و منها قصيدتان «فيثارية» و قصيدتان طويلتان و ثلاث تمثيليات . وهى كما تلى : «ميجدوتا» «رتو سمهارا» «كمار سموا» «مالوى كغنى مترا» و «شكنتلا» .

و أصبحت هذه القصائد و التمثيليات محل تقدير و احترام لدى علماء أوربا و رغبوا فى الدراسات «السنسكرتية» اولا و قبل كل شئ للوقوف على محتويات هذه الأعمال الخالدة و بهذا نشأ تحول جديد فى العلوم الحديثة فى اوربا ، و بدأ عدد كثير من علماءها فى دراسة تاريخ الهند

(c) http://nidaulhind.blogspot.in

و لغاتها و علومها . و مما هو جدير بالذكر بان اعمال «كاليداس» تنطوى على محاسن الثقافة الهندية . و بعبارة أخرى أنها خلاصة الفكر الهندى و قدوة حسنة و حجة بالغة لأقرانه و الأجيال القادمة . و تحتفظ بهذه المكانة المرموقة الى يومنا هذا . و كان مصدر الهام للشعراء و الكتاب و الفنانين و النحاتين أيضا . بينما تردد صدى مبادئه و تعاليمه فى الأناشيد و الأغانى التى وضعت بعده و نرى آثار قلمه الخالدة منقوشة و منحوتة فى أعمدة «أجنتا» وغيرها من الآثار التاريخية التى ترجع عهودها الى عصر «جبتا» الذى كان عصرا ذهبيا فى تاريخ القارة الهندية .

و من ميزاته أنه يستخدم أسلوبا سهلا جذابا فى أشعاره و رواياته و يصور الأشياء و جمال الطبيعة بطريقة واقعية عصرية حيث تخلب عقول القارئين و تشحذ أذهانهم . وتحتوى تشبيهاته على أمور واضحة لايصعب فهمها على العقول الساذجة وفى الوقت نفسه تكون ذات معان قيمة و مبادئ قويمة . وكان «كاليداس» يستعمل التشبيهات و الأسلوب الشعرى فى النثر أيضا ، و فى مر الأيام بدأ المنتحلون يستغلون اسم «كاليداس» و يزودون اسمه حتى أصبح من الصعب على الباحث المحقق أن يميز ماله مما ليس له . و أصبح من العادة المتبعة أن يعبر عما تحقق انتسابه الى «كاليداس» باسم :— «دياسيكا» أى الشعلة المضيئة . و يرجع وجه هذه التسمية المميزة الى التشبيه الذى استعمله «كاليداس» بكل مهارة و حذاقة فى إحدى قصائده التى يصف فيها الأمير «راغو» من بين الأمراء العديدين الذين تقدموا لخطبتها و شبه فيها الأميرة «اندوماتى» بالشعلة المضيئة اذ قال : ان الأميرة «اندوماتي» بدأت تتفقد الحاضرين و فى يدها السبحة المقدسة لتختار

(c) http://nidaulhind.blogspot.in

زوجها المقبل و كانت تمشى رويدا رويدا بينما تقوم «سناندا» بالتقديم اليها أميرا فاميرا فكانت تلتزم الصمت دلالة على رفضها له، حتى وقع اختيارها اخيرا على الأمير «راغو» ثم يصف الشاعر حالة الياس و القنوط التى تخيمت على وجوه الأمراء الذين لم يظفروا باختيار «اندوماتى» قائلا :ـــ بينما عقدت الانسة «اندوماتى» عزمها على اختيار أمير زوجا لها استعرضت الأمراء الذين اصطفوا فى قاعة رائعة وكلما تترك واحدا واحدا بدون أن يقع اختيارها عليهم، تبدو على وجوههم آثار الخزى و الخجل كانهم قصور عالية فى الشارع العام فى أوقات الليالى بأضواء شعلة كبيرة و كلما تتقدم الشعلة من قصر الى قصر فيصبح القصر المتروك وراءها مظلما». ولم يكن الشاعر يستخدم التشبيهات العويصة المقطعة بل كان يستعمل فى كتاباته سلسلة من التشبيهات السهلة التى تزيد المعانى دقة و روعة و يثبتها فى أذهان القارئين بكل قوة و تأثير. و من بيانه البليغ الذى يفتخربه تاريخ الشعر وصفه البديع «لهمالايا» حينما طابت نفسه و فرح قلبه عند ما ولدت له بنته «باروتى» :ـــ انه كمصباح يرسل نوره الوهاج الى حواليه، أو كنهر «كنكا» الذى هو الطريق المودى الى الجنة أو كفيلسوف يتير العالم بآرائه و مبادئه القيمة، و هكذا أصبح «همالیا» فرحا مسرورا و مغتبطا سعيدا ببنته «باروتى» الميمونة ثم يصف «كالیداس» مراهقة «باروتى» و نضوجها العجيب السريع :ـــ الآن قد تجاوزت سن الطفولة و بلغت المراهقة التى هى عمر لا تحتاج فيه الى حلى لتتزين بها بل هو نفسه أحسن الحلى للفتيات الصغيرات، وهى عمر مسكر بدون خمر و قدح معلى من أقداح الزهور و الورود».

(c) http://nidaulhind.blogspot.in

و الى جانب كونه شاعرا ملهما تتجلى من أعماله وسعته العلمية و تبحره فى مختلف العلوم و الفنون الجميلة من الموسيقى و الرقص و التمثيليات و على رغم قلة الوسائل للمواصلات فى عصر «كاليداس» قد تجول فى طول الهند و عرضها فى الأيام الاولى كما يبدو من بيانه الجغرافى الواسع الذى لايتاتى ذلك الا لعالم جغرافى اتصل بنفسه بمجريات الأمور فى شتى أنحاء البلاد و قام الدكتور «ساتيا جاران» ماهر علم الطيور بدراسات خاصة عن الطيور و عاداتها على أساس الاشارات و الرموز الواردة فى كتب «كاليداس» فنشر كتابا فى اللغة البنغالية باسم «كاليداس باكهى» أى «طيور كاليداس»، فبين فيه مدى المعلومات القيمة و التحقيقات العلمية التى كان يتمتع بها عن أنواع الطيور و أجناسها و عاداتها و نزواتها الفطرية فى التنقلات من مكان الى آخر. و الاحتفاظ بين نوعها و الاحتراز عن أعدائها و الاضرار التى تصيبها، و يعتبر هذا الكتاب سجلا حافلا عن طيور الهند و أصنافها و مراكزها. وهذه نبذة من محيطه العلمى الواسع و تشع منه أنوار فلسفته العالية و ميوله السنية. و بناء على ضيق المقام نمسك عن التحدث بتوسع عن معتقداته و آرائه و ميراثه التى يمتاز بها عن الآخرين.